ثورة الثالث والعشرين من يوليو في الشعر العربي
دراسة تحليلية

إعداد

أ.أميرة محمد عبد القوي السروي
باحث دكتوراة في قسم اللغة العربية
كلية الآداب- جامعة دمنهور

أ.د. محمد محمود أبوعلي
أستاذ النقد والبلاغة بقسم اللغة العربية
كلية الآداب- جامعة دمنهور

دورية الانسانيات - كلية الآداب - جامعه دمنهور
العدد (64)- الجزء الأول - لسنة 2025

ثورة الثالث والعشرين من يوليو في الشعر العربي ؛ دراسة تحليلية

أ.أميرة محمد عبد القوي السروي
أ.د. محمد محمود أبوعلي

مُلخص:

لاشك أنَّ الأحداث السياسية والمجتمعية التي عاصرها الشَّعب المصري قبل ثورة يوليو كانت بمثابة المِرجل المُتقد وبالرغم من ذلك فإنَّ الملك، وكبار رجال دولته لم ينتبهوا لحالة الرَّفض التي أدت وبلا شك لأكبر ثورة ناجحة في تاريخ مصر الحديث، فتحررت مصر من ربقة الاحتلال البريطاني الذي جثم على صدر الشَّعب زُهاء السبعين عاما بسواعد الضُّباط الأحرار، الذين حاولوا تغيير ملامح المجتمع المصري على الصَّعيد السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثَّقافي، فالمواطن المصري الذي ظلَّ مُهمشًا في وطنه أصبح مالكًا للأرض، من حقه التَّعليم بكل مراحله، أصبح مُسيطرًا على مرافق الدَّولة، وفوق كل ذلك حافظ على كرامته وإنسانيته، وشعر بالعزة في وطنه.

لم يقتصر فضل ثورة يوليو على مصر وحدها بل عمَّ العالم العربي والغربي، فقد كانت المنارة التي اهتدى بهديها كل ثائر رافض للظُّلم وللاحتلال، فقد ساندت كل حركات التَّحرر في كل أنحاء العالم، فهي رمز للتمرد على الاستعمار، فقد أسهمت في إحداث هزَّات مجتمعية غيَّرت واجهة المجتمع المصري.

There is no doubt that the political and societal events that the Egyptian people experienced before the July Revolution were like a burning cauldron. Despite this, the king, senior statesmen, and ministers did not pay attention to the state of rejection that led, without a doubt, to the largest successful revolution in Egypt's modern history. Egypt was liberated from the grip of the British occupation that had crouched down. At the heart of the people for nearly seventy years, with the help of the Free Officers, who tried to change the features of Egyptian society on the political, social, economic, and cultural levels. The Egyptian citizen who remained marginalized in his homeland became the owner of the land, had the right to education at all levels, became in control of state facilities, and above All of this preserved his dignity and humanity, and he felt proud in his homeland.

The merit of the July Revolution was not limited to Egypt alone, but spread throughout the Arab and Western world. It was the beacon that guided every revolutionary who rejected injustice and occupation. It supported all liberation movements in all parts of the world. It is a symbol of rebellion against colonialism. It contributed to causing societal tremors that changed the facade. Egyptian society

المقدمة

ثورة الثالث والعشرين من يوليو عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين على قدر أثرها وأهميتها في التَّاريخ المصري والعربي، إلا أنَّها لم تكن الثورة الأولى في تاريخ كفاح الشَّعب المصري، الذي طالما رفض الظُّلم والقهر والاستبداد ودافع باستماتة عن حريته، فلو قلَّبنا صفحات التَّاريخ المصري سنجده عامرًا ببطولات المصريين، الذين فُطروا على حُبِّ الوطن والحرص على حريته.

فلو اقتصرتَ–فقط– على آخر مائتي عام في التَّاريخ المصري لوجدتَ الثورة العُرابية 1879–1882خرجت من الجيش، لتُطالب بحق الشعب في المجلس النيابي وحقه في اختيار رأس الوزارة الذي يحرص على خدمة مصالح الشَّعب لا مصالح الشراكسة والإنجليز، ثُمَّ وجود (مصطفى كامل ومحمد فريد) أحد أهم رموز النِّضال الوطني، ثُمَّ الثورة الشعبية مارس 1919 التي " بدأت بمظاهرات سلمية تطوف شوارع العاصمة هاتفة بالاستقلال، مُناديةً بسقوط الحماية..." [1] أتت هذه الثَّورة ببعض الثِّمار وأخفقت في تحقيق أهداف أخرى، ثُمَّ توالت المعارضات المُنذِّدة بالاحتلال وسياسته التَّعسفية ضد مصالح أبناء الوطن، خَيَّمَت الإخفاقات السياسية، والاقتصادية، وكذا النَّكسات الاجتماعية على المجتمع فأصبح الاستقلال يغلي في مراجل القلوب، ليفتح للعقول السُّبل المُمهدة للمطالبة به، فأصبح شعار المرحلة (الاستقلال التَّام أو الموتُ الزُّؤام).

وقد تضافرت الظروف السِّياسية، والاقتصادية، والاجتماعية؛ لتصنع نسيجًا جديدًا استطاع الضباط الأحرار حياكته وفقًا لمطالب الشعب وبقوة الشعب، فكانت الثورة المُبشرة ثورة 23 يوليو 1952التي خرجت من الجيش كما خرجت الثورة العُرابية، ولكن ضباطها طالعوا التَّاريخ جيدًا فتنبهوا للإخفاقات وحرصوا على عدم تكرارها، فـ " كانت ثورة يوليو خاتمة طبيعية لهذا القلق النَّفسي والسياسي والاجتماعي، وفاتحة عهد اختلف عما قبله في طبيعته وما تفرع عليها من المشكلات..." [2]

فهي عهدٌ جديد حاولت أن تُسدل السِّتار على الماضي المظلم بكل ما فيه، فقد دكت قواعده بغير رجعة، فلها أهداف ستة هي روحها وجوهرها، فكرست نفسها لتحقيقها وهي على النَّحو الآتي: " القضاء على الاستعمار– القضاء على الإقطاع وتصفيته– القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحُكم– إقامة عدالة اجتماعية– إقامة جيش قوي– إقامة حياة ديمقراطية سليمة" [3] فقد سعى رجال الثَّورة لتحقيقها، فهي مثل كل الثَّورات لها إنجازات وإخفاقات سطَّرها التَّاريخ.

والشِّعر هو السِّجل الأمين الذي يرصد التاريخ بكل أحداثه، أو كما يقولون: " الشِّعر ديوان العرب" [4] وأي أحداثٍ أقوى من الأحداث المُهمة التي أطاحت بالملك وأعوانه، أعادت للفلاح كرامته، أعادت لمصر هيبتها أمام المجتمع الغربي وريادتها العربية، كان لها إنجازات اقتصادية وصناعية كُبرى، كل هذه الإنجازات وغيرها أيقظت الحس الشعري لدي شعراء القطر العربي كله.

والمُلاحظ أنَّ ما قامت به الثَّورة كان له مؤيدوه ومعارضوه، فمن الصعب أن يتفق الجميع على مساوئ شيء أو محاسنه، وسوف أُشير لبعضها لمعرفة كيف سطَّر الشُّعراء مشاعرهم تجاهها، وكيف رصدوا رؤية الحاكم وتفاعل الشعب معها؟ وذلك على النحو الآتي:

أولًا: قيام الثورة

كانت ثورة يوليو 1952م حلقة في سلسلة الثورات المصرية المتتابعة، إلا أنَّ لها مميزات تفردت بها عن غيرها من الثورات وهي" البُعد القومي والمضمون الاجتماعي والأفق الاشتراكي" [5]، فقد جاءت لتحقيق طموح جموع الشعب المصري باستثناء قِلة ممن استفادوا من فساد الملكية، ووجود الاحتلال على أرض الوطن، فالشعراء هم أصحاب الهِمم واستشراف المستقبل، فنجد (محمود حسن إسماعيل) قد بشَّر بالثورة قُبيل قيامها؛ لإيمانه بقدرات الشعب المصري، يقول في قصيدته (صرخ القيد): (من الخفيف)

أضيوفٌ عليك سبعين عامًا نزحوا الطَّلَ من حِمَاك النَّضير
قُل لهم: هاجت القيودُ بساقي وشبت أغلالُها في سعيري
لا تظنوا السُّجونَ تَفْعَلُ شيئًا غير بَعثِ الرُّفاتِ تحت القبورِ
ظُلمةٌ تَخْلُقُ الضياءَ، وليلٌ دقَّ أجراسَهُ ليوم النُّشورِ
كُلما صبَّ نَارَهُ انتفض الأحرارُ للبعث قادمًا في الصدورِ!![6]

تبرم الشاعر من جثوم الاحتلال على أرض مصر، فتلك القيود المفروضة على الشعب لم تزده إلا اشتعالًا فتتحول هذه الأرض إلى سعير مُتقدة، وفي الأبيات إنذار واضح برفض الاحتلال ومواجهة الموت ببسالة؛ لأنَّ الرُّفات المتبقية ستُبعث من جديد، وأحسبُ أنَّ الشاعر يقصد بالرُّفات تلك العزائم والآمال التي ظنوها قُبِرت مع الجثث، فالظلمة سَتُبدد وتُنذر بالحياة الجديدة حياة (الأحرار) والشاعر هنا لا يُشير للضباط الأحرار لأن هذه القصيدة بتاريخ (مايو 1946)؛ فقد برع الشَّاعر في تصوير الحالة النَّفسية والمجتمعية والسياسية للشعب في ذلك الوقت، فالشعب مُكبل في بلاده يُصَبُّ عليه العذاب والعقاب في كلمة (صبَّ) التي تدل على سهولة إنزال العقاب على أفراد الشَّعب.

إنَّ حركة الجيش عشية 23 يوليو وجاهزيته لمهاجمة كبار رجال الدولة وهم مَنْ هم في السَّطوة، والحيطة، لَخِطة مُحكمة الأطراف عصفت بهؤلاء في وقت قصير جدًا، وإن أخذ إعدادها وقتًا طويلًا؛ لذا تغنى الشُّعراء بالثورة وأبطالها، فهذا الملازم (محمد علي أحمد) يقول: (من الهَزج)

أخي أشرقت الشَّمسُ على آفاق وادينا
وراحت تبعث الأنوارَ في شتَّى أراضينا
وهلَّت طلعةُ الأبطا لِ ، للمجد تُنادينا
أخي، أنت الغَدُ المنشو دُ، يمتدُّ به العُمْرُ[7]

ولَّد الإحساس بالظلم وتواضع المكانة أمام الاحتلال شعورًا بالظُلمة الحالكة لدى الشَّاعر، إلا أنَّ الثورة أشرقت كشمس متوهجة أضاءت الكون كله، فلم تكتف بمصر بل بثَّت ضوءها في كل ربوع الوطن، فكان ظهور الأبطال بمثابة إحياء المجد العربي من جديد.

ويُسجل الشَّاعر (مُحمد الماحي) فضل السَّبق الذي حققه الضُباط الأحرار، فيقول: (من الخفيف)

ذاك عهدٌ سَاعَاته أيام
ذاك عهدٌ أيَامه أعوام
كان عِرْضُ الكَرِيم نَهْبًا مُبَاحا
ولِسفْك الدِّمَاء سوقٌ تُقام
سَاد فيه حُكم الرَّذِيلة حتى
يئس المُصْلِحُون منه فنَامُوا
وَصَحُوا حِين أَيْقَظ الجَيشُ فيهم
هِممًا دُونَها الحَدِيدِ اللِهَام[8]

يَصِفُ الشَّاعر عهد المَلَكِية البائد ومدى ظُلمه، وثقله على الشَّعب وآثامه، **(فساعاته أيام وأيامه أعوام)** حيث كان عِرض الكريم مُستباحًا، حاول الشَّاعر الإفصاح عن الأثر النَّفسي لهذه الانتهاكات فاستحضر الفعل **(ناموا)** ليُعبر عن الانسحاب المؤقت من هذه الحياة الظَّالمة، كما أجاد في قوله: **(صحوا- أيقظ- هممًا)**لتتناسب مع الانتفاضة الثورية وأثرها في النفوس.

حاول الشَّاعر(إبراهيم سُليمان) رسم صورة أخرى لأثر ثورة يوليو على الحياة والمجتمع، فقد كانت حدًّا فاصلًا بين زمنين كانت سيفًا بتارًا فصلت حاضر الأمة عن ماضيها، فقد باغتوا الأعداء بهجوم خاطف، يقول في قصيدته (ذكرى ثورة يوليو) : (من الكامل)

يا يوم يولية كُنْتَ حدًّا فاصلًا بين السَّعادةِ والزَّمانِ الأنكدِ
نَهَضَتْ من الوطنِ الصَّميمِ قيادةٌ تَشْرِي الكِنَانةَ بالعزيزِ وَتَفْتَدِي
أبطـالُ وادي النيـل شَـنُّوا غَـارةً صَـبَغتْ طَرِيـقَ الغَاصِـبِين بِعسْجَدِ[9]

وقد أجاد الشاعر (عبد الله شمس الدِّين) في تصويره لحال المواطن المصري في بلده، فهو في حال اغتراب فعلي، فمادام الإنسان محكومًا بأجنبي عنه يسعى لصالحه فقط، وقد حدد الحقبة الزَّمنية(سبعون عامًا) لا للإثبات التَّاريخي فقط، بل للإشارة إلى المُعاناة الطويلة التي عاناها الشعب حتى انشقَّ الزَّمن عن ثورة الضباط الأحرار، فهي كالبعث ، يقول: (من الرَّجز)

سَبْعُون عامًا بين أَغْلالِ المِحَنِ عِشنا نُعاني القيدَ ذُلًّا واغْترابَ
حتى أهابَ البَعْثُ، وانْشَقَّ الزَّمنُ عن ثورةِ الأحرارِ والأُسْدِ الغِضَاب[10]

وأحسبُ أن كلمة (**انشق الزَّمن**) فيها بُعد ديني تتماس مع مُعجزة شق البحر لسيدنا (موسى عليه السَّلام) فقد غيّرت واجهة قوم موسى، وَأَذنت لهم بعهدٍ جديد بعيد عن القهر والظُّلم، هكذا كانت ثورة يوليو.

ويبدو أن وصف الثورة بالبعث ألحَّ عليه غير شاعر، ولِمَا لا؟ والثورة أحدثت ما تمناه الشعب منذ سنوات طوال، فهذا الشاعر(محمود حسن إسماعيل) يصف كيف تغير وجه الكون في عيون الشعب، كل الظروف القاتمة تغيرت أضاءت الحياة يقول في قصيدة (الصباح الجديد) يناير 1956: (من المُتقارب)

صَحَتْ واسْتردت إبَاء العَلَم وأَضْحت نَشِيدًا أَبِّي النَّغم
وَفَجْرًا من البَعْثِ يَمْحُو الظُّلَمَ وتَهْفُو إلى نُورِهِ كُلّ عَيْنٍ
وسَارَتْ مُوحْدة في الجُهُودِ بِعَزْمٍ قَوِيّ، وبأسٍ شَدِيد
له اللهُ..صُبْحٌ قَوي الضِّيَاء جَرَتْ نَارُ ثورته في الدِّماء[11]

أضاف الشَّاعر جديدًا في رسمه لهذه الصورة بأن أشار إلى أنَّ الثَّورة غيَّرت سمت المجتمع المصري، فقد توحَّدت الصُّفُوف والمهام، فالجميع يسعى لهدفٍ واحدٍ بالرَّوح والقوة نفسها؛ والسبب وراء ذلك سريان روح الثورة ومبادئها في دماء الشعب.

هذه السِّلسلة القيمة من الأشعار التي تحدثت عن ثورة يوليو لا بُدَّ وأن تُغلق بقول (فؤاد حداد) عن عِظَم شهر يوليو في قصيدته (قبل الفجر):

شَهْر اسْمُه يوليه ونَاصر اسْمُه جَمَال

والدُّنيا مش أكبر من الغِنْوه دي

عَاش الزّمان اللي بنى شَهْر اسْمُه يوليه(12)

جعلت الثورة شهر يوليو شهرًا استثنائيًا يختلف عن شهور السَّنة ، فجعلته صرحًا شيده الزَّمان؛ فقد أَلحَّ الشَّاعر على هذه الفكرة بتكراره للشطر الأخير ست مرات خلال القصيدة ، فالأحداث التي أثارتها ثورة يوليو أكسبته صفة العظمة، لذا أصبح من العلامات البارزة التي سطَّرها التَّاريخ.

ثانيًا: قانون الاصلاح الزِّراعي 1952م:

مصر بلد زراعي تعتمد على خيرات الزراعة في كل مناحي الحياة، بفضل نهر النيل، وتُربته الصالحة للزراعة، ولهذا كَثُرَ عدد العاملين بالزراعة في مصر منذ بداية فجر التَّاريخ، فالفلاحون يُمثلون غالبية السُّكان، لكن هذه الخيرات سَيْطَر عليها في العهود السابقة للثورة أصحاب النُّفوذ، وحُرِمَ من هذه الخيرات الفقراء الذين درجوا على الرضا بأقل القليل، ومن أجلهم قامت الثورة؛ لإعادة التَّوزيع العادل لملكية الأراضي، وانتزاع ملكية ما يفيض عن الحَدِّ المُقرر من ممتلكات الإقطاعيين؛ فقد أدركت الثَّورة ألا سبيل للإصلاح السياسي إلا بالإصلاح الاجتماعي لتحقيق العدالة الاجتماعية.

قُوبِلَ قانون الاصلاح الزِّراعي بفرحة عارمة من الكثير، ورفضه البعض، لأسباب عدة جاءت على لسان أحد أهم أعضاء مجلس قيادة الثَّورة (خالد محيي الدِّين) فقد كان شاهدًا على ذلك، يقول: " وما إن طُرِحت الفكرة حتى أثارت مشاكل عديدة، فعلي ماهر رئيس الوزراء كان في دخيلة نفسه ضد الإصلاح الزراعي أصلًا، وبدأ يُثير العقبات، واقترح فكرة الضرائب التَّصاعدية بتصاعد الملكية الزراعية ، وانتهي به الأمر بأن طالب برفع الحد الأقصى للملكية إلى خمسمائة فدان بدلًا من مائتين.. وكانت حُجة علي ماهر أنَّ المُلاك هم الفئة المستنيرة والمُثقفة في المجتمع، وأنه من الصعب تحدي هذه الفئة وضرب

مصالحها " [13] يبدو أنَّ هذه المُعارضات استندت إلى الجانب الاجتماعي لهذه الطبقة، قد اعتادوا على مستوى معين من المعيشة ومن الصعب المساس بهذا المستوى.

كان (جمال عبد النَّاصر) يبتغي تحقيق العدالة الاجتماعية، فقد كان على عِلم بغضب كبار المُلاك فلم يراع هذا الغضب؛ لأن هذا الأمر في صالح الوطن وهو الأهم، فيقول: "...وأنا أُدرك أننا أغضبنا كبار المُلَّاك، لكن هل كان يمكن ألا نغضبهم ونترك تربة وطننا، وفينا مَنْ يملك منهم عشرات الألوف من الأفدنة، وفينا مَنْ لا يملك قطعة يُدفن فيها!..." [14].

فسَّر أحد المستشرقين سبب اللجوء لقانون الإصلاح الزراعي تفسيرًا سياسيًا، فـ " الإقطاعيون كانوا يتزعمون أحزاب البلاد السياسية، ويتحكمون في البرلمانات المتعاقبة، ويقررون شكل التَّشريعات التي تُسن، وتُستصدر، وتنفذ كما يسيطرون على سياسات الحُكم الدَّاخلية والخارجية، وكان السُّلطان السِّياسي في مصر مُعادلًا لملكية الأرض..." [15] ويبدو أنَّه كان مُحقًا في ذلك فقد شاع في المجتمع قضية شراء الألقاب؛ فهذه الألقاب كانت تُقربهم إلى أعلى المناصب، ومنها إلى تَقَلُّد الوزارات، والأحزاب السِّياسية التي تُشرِّع القوانين .

فالإصلاح الزِّراعي خطوة تخطوها الثورة في سبيل الإصلاح الاجتماعي، فقد استقبله الشُّعراء بالحفاوة والبهجة، فلم أجد من خلال ما توفَّر لدي من أشعار، أشعارًا تُناهض الفكرة، بل وجدتُ الجميع متفقًا على أنَّها أعادت للفلاح عِزَّته؛ فقد ركزوا في أشعارهم على الأرض والفأس وأهميتهما في عودة الكرامة، فالشَّاعر (عبد المنعم الأنصاري) في قصيدته (أُنشودة على الطَّريق) يُقدم صورةً حيويةً لحال الفلاح الذي يحمل الفأس على كتفه ، ففي وصفه له دلالة على الاستعداد الكامل للقيام بالفعل لقوله: **(تُثري)** ثُمَّ جعل الأرض ملك اليمين، كما عزز فكرة الغُربة التي كان يحياها الشعب في وطنه، فتملكه لأرضه بمثابة عودة المغترب لوطنه فقد كان حُلمًا، يقول: (من السَّريع)

فَأسِي على كَتفِي لمَّا تزل تُثْري وحَقْلِي اليوم مَلْك اليمين

وَعُدْتُ يَا لَيلاي من غُرْبَتِي إليك بالحُلْمِ الَّذي تَشْتَهِين [16]

لم يَعُد الفلاح أجيرًا ذليلًا، فبالرغم من طول مدة الاحتلال فإنَّ الذُّل لم يُخلِّف إنسانًا مشوهًا نفسيًا ينتقم ويحرق، بل خلَّف نفسًا تأبي أن تُظلم مرة أخرى، فحول هذا المعنى يقول (محمد الجيار): (من مجزوء الكامل)

أقسمتُ بالفأس الذي عرفَتْهُ كافرةُ الصخورِ

عَلَّمتَني ثأرَ السُّمُوّ بلا انتقامٍ أو ثُبُورِ

إنّي انْتَقمتُ بِأنْ رَفَعتُ النَّفسَ عن ذُلِّ الأجير
أنا كُنتُ أحيا في ظلامِ الرقِّ أشبهَ بالجذورِ
تَهَبُ الغُصُونَ دِمَاءَها وَتُسَرُّ بالزَّادِ الحَقِيرِ[17]

كان الشَّعبُ مُكبلًا بقيود العبودية للمالك، مثل حال الجذور التي تُثبِّت النبات في التُّربة وأحسبُ أنَّ الشاعر أراد الإشارة إلى أنَّ الجُذور مخفية تحت التُّربة، ولم يُنْتَبه إلي دورها المهم في استمرارية الحياة للأزهار، فالزهر البرَّاق هو ما يجذب الانتباه، فقد جعل الشَّاعر فضل الفلاح على المالك كفضل الجذر على الزَّهر.

ثالثًا: الجلاء:

تمَّ توقيع اتفاقية الجلاء مع بريطانيا في 19 أكتوبر 1954م بعد استعمار ظلَّ جاثمًا على الأراضي المصرية ثلاثة وسبعين عامًا وتسعة أشهر وسبعة أيام، وخرج آخر جندي بريطاني عن مصر في 13يونيو1956م، فبعد انتهاء الصِّراع على السُّلطة ظلت مشكلة الوجود الاستعماري في منطقة القنال تُلّح على الرئيس، لذا كانت المبادرة بالحوار مع الإنجليز للخروج من الأراضي المصرية فكانت " حكومة لندن قد اقتنعت بأنَّ السيطرة على قناة السّويس لم تَعد من مصلحتها الأولى، وقد تغيَّر التَّوازن الدَّولي لصالح الثُّنائية القطبية الولايات المتحدة، والاتحاد السوفييتي...وعلاوة على ذلك اتضح أنَّ الإبقاء على القوات مكلف جدًا " [18].

وبالرغم من الخسارة في الأرواح والأموال فإنَّ البريطانيين قد أجمعوا على أنَّ اتفاقية الجلاء كانت أسوأ اتفاق أبرمته الحكومة البريطانية، وقد نال(ونستون تشرشل Winston Churchill) نصيبًا وافرًا من النَّقد والتَّجريح لدرجة اتهامه بالخيانة، فقد قال (ووتر هاوس)* : " لقد كنت وإخواني نخشى أن تكون المسألة مسألة "بيع"، ولكن تبين أنَّ المسألة مسألة " إعطاء" و"تنازل"..."* [19] *هذا الجلاء لم يكن ليؤثر على مكانة بريطانيا في المنطقة العربية فحسب ولكن كان عاملًا من عوامل القلق على مستقبل إسرائيل في المنطقة.*

حُلم جلاء بريطانيا عن مصر استمر ما يربو عن السبعين عامًا، حاول العديد من الزُّعماء تحقيقه ولكنهم فشلوا في تحقيقه؛ لمُباركة الملك وأعوانه وجودهم فقد أشار إلى ذلك (صلاح سالم) في نقله لمناقشات مجلس اللوردات في بريطانيا يقول: " إنَّ اتفاقية الجلاء نصر عظيم، ولكنه ليس نصرًا للإنجليز إنما هو نصر للمصريين، تصوروا أنَّ الملك فاروق وفرسانه من رجال السِّياسة مكثوا سنوات عديدة يحاولون أن يحصلوا على شيء من

هذا الاتفاق، ولكنهم فشلوا فشلًا كاملًا.. وإذا بحفنة من الضُباط المصريين تنجح في الحصول على كل هذا، ولم يمض على توليهم الحكم عدة شهور..." [20].

مما لا شك فيه أنَّ ما حدث في فبراير 1922م، واتفاقية الجلاء 1936 لم ينجحا في تحقيق الجلاء، إلى أن وقعت الثورة وعززت الثورة العمل الفدائي- دفاعًا عن مصر_ في خط القنال، ولو لم يكن هناك تصريح بهذا، فالجلاء كان ضمن الأهداف الستة للثورة، إذن افتقد الاستعمار دعم الحكومة ووجدوا أنفسهم أمام سيل من العمليات الفدائية ضدهم إضافة لحصارهم في مواقع محددة في مصر، فالجلاء " أحد أهم الإنجازات المنسوبة إلى الثَّورة، وبالتحديد إلى عبد النَّاصر، الذي كان يجوب البلاد طولًا وعرضًا؛ ليبثَّ الحماس الوطني فيهم بما يردده بينهم من شعارات تغرس في داخلهم هذا الإحساس" [21].

هذا الإنجاز السياسي غير المسبوق حَظِي باهتمام الشعراء، فالأمل المنشود منذ سنوات قد تحقق، يقول الشَّاعر(أحمد فتحي) في قصيدته(عيد الجلاء) التي نُشِرت في جريدة الأهرام 23 أكتوبر 1954: (من الطَّويل)

جَلَا عنْ ثَرى الوادي المُبَارِكِ غَاصِبٌ أَقَام به فردًا، وغَادَرَه فَرْدَا

وَتِلك لعَمْرُ الحَقّ آيةُ فِتْيةٍ سَعُوا نَحْوهَا سَعْيَا، وشَدُّوا لها شَدَّا

وَقدْ بَلَغُوا بالجُهُودِ التي طَوَتْ "فَرِيدا" وَأَعْيتْ بَعْد طُولِ الضَّنَى"سَعْدا"

أَعَادُوا لِمصْرٍ مَا مَضَى مِن شَبَابِها وَحُرّيةً تَسْتنْكِرُ الغُلَّ والصَّفَدا[22]

قرر الشَّاعر من عنوان القصيدة أن يوم الجلاء أصبح عيدًا يُحْتَفل به ، فقد رصد الشاعر في أبياته حقيقة ثابتة تاريخيًا، ومجتمعيًا، ونفسيًا، فالغاصب المُحْتل مكروه من الجميع، فقد ظلَّ وحيدًا وخرج يجر أذيال الخيبة وحيدًا، قرر الشَّاعر أن يسند الفضل لأصحابه، فَوُفِقَ في استخدامه لكلمة (الفِتية) للضباط الأحرار ففيها دلالة على قوتهم الجسمانية، والعقلية، فهؤلاء الفِتية كانوا علامة على قوة السعي والمثابرة من أجل مصر، كما كان الفِتية في قصة أصحاب الكهف علامة على الإيمان والهداية، فالضُباط الأحرار أكملوا أعمال (محمد فريد وسعد زغلول)، وبذلك يُحق الحق لأصحاب الوقدة الثَّورية الأولى في مصر.

توقف (محمود حسن إسماعيل) مع (العلم المصري) الذي أنار سماء بورسعيد مع خروج آخر جندي بريطاني، حيث قام الرئيس (جمال عبد النَّاصر) بإنزال العلم البريطاني الذي قبع سنوات يرفرف في سماء بلادنا، فرؤيته تُجدد الإحساس بالخيبة والاختناق، يقول في قصيدته (علم الحرية) 18 يونيه 1956 :(من المُجتث)

طَوِيتَ سَبْعِينَ عَامًا في القَيْدِ كَانت ظَلامَا
وكم رَددتَ الغُزَاةَ وَكم قَهَرْتَ الطُّغَاةَ
حتَّى رَأيتَ الحَيَاةَ والبَعْثَ فَوق سَمَائكْ
فِي أَرْضِ مِصْر ابْتَسمْ..هَذا الضُّحَى.. يَاعَلَمْ!
مِن أَرْض أُمّ الوجُودِ ومن كِفَاحِ الجُدُودِ
عَلَى يَدِّ الثَّائرِينَا يَسُوقُ نَصْرًا مُبِينَا
فَشَيّع الغَاصِبينَا بِنظرةٍ من إبَائكْ
وَاسْمَع نَشِيدَ الهَرْم.. للدهْرِ.. يَحْيَا العَلَمْ!![23]

استطاع الشَّاعر أن يجعل للعلم دلالته الخاصة على البَعث من بعد السُّبات العميق، فهو دلالة على الانتصار وقهر الطُغاة ، فقد عاد العلم المصري لمكانه، وقد أصاب في استخدامه لكلمة (**الضحى**) للجلاء، فعندما يسطع ضوء اليوم الجديد يدخل وقت الضُّحى؛ لذا جاء الجلاء بعد إرساء دعائم الثورة وفرض السيطرة المصرية على أرض مصر بسنوات قليلة.

وقد أشار الشَّاعر أيضًا إلى فضل الثائرين الذين شيَّعوا المُحتل بنظرة العزة، والانتصار، وقد أجاد في تعبيره بكلمة(**شَيَّع**) فهو يذهب بلاعودة من جديد فقد جرت العادة أنَّ لفظ التَّشييع يكون للموتى، فلو قال (ودَّع) اختل المعنى فالوداع فيه وعد باللقاء من الجديد، وغالبًا يكون بين الأحِباء.

تنبه (محمود غُنيم) لحال الجنود الإنجليز الرَّاحلين[24] عن مصر، يقول في قصيدته (بطل الجلاء): (من الكامل)

والغاصبُ المحْتلُ سَلَّم سيفَهُ ومضى لطيته بدون قِتالِهِ
أقْسَمْتُ، مَا كَان الجَلاءُ تَبَرُعًا منه، ولا التَّسْلِيم من أفْضَالِهِ[25]

ويتماس قول الشاعر مع فكر قادة الغرب وشعورهم بالخزي والاستسلام؛ فخروجهم من أرض مصر كان على غير رغبتهم؛ فقد أحدث الشَّاعر حيويةً في هذه الأبيات بتجسيده لحال الجُندي الذي سلَّم سلاحه بيده، وقد أجاد الشَّاعر أيضًا في وصف الاحتلال الإنجليزي بالغاصب؛ حيثُ اغتصب الأرض، وأخذها ظُلمًا، وطمعًا؛ لذا كان خروجه مُحالًا.

رابعًا: تأميم شركة قناة السويس وبناء السَّد العالي:

تأميم شركة قناة السويس وبناء السَّد العَالي من أبرز إنجازات ثورة يوليو، فقد ارتبطا ببعضهما في ذهن الشُّعراء، وفي هذا يقول (فؤاد حداد) في قصيدة (تأميم القنال):

وَنهَارنَا عَالِي وصُوتنَا في الطَّالع

قَال احنا أمِّمنا القَنَال من هنا

قُلنا حَنبْنِي السَّد[26]

لم تكن فكرة التأميم فكرة طارئة أوجدها رفض البنك الدولي وأمريكا تمويل بناء السَّد، بدعوى ضعف إمكانات الاقتصاد المصري لإتمام هذا المشروع الضخم؛ فمن خلال تتبع القضية تبين أنَّها كانت ملازمة لفكر الزعيم (محمد فريد) عام 1910 ، حيثُ كتب مقالات عدة يشرح خلالها مضار مَدِّ الامتياز من الجوانب المادية والسِّياسية، ثُمَّ عاد الحديث عنها عام 1945حينما أصدر (شُهدي عطية ومحمد عبد المقصود الجبيلي) كتابهما (أهدافنا الوطنية)، وفي عام 1951 انتعشت فكرة التأميم عقب تأميم مصدَّق للبترول الإيراني، وإلغاء (مصطفى النَّحاس) لمعاهدة 1936م .[27]

تأميم شركة قناة السويس مبادرة جريئة من الرئيس (جمال عبد النَّاصر) فلم تكن مماطلة الولايات المتحدة، ثُمَّ رفضها تمويل بناء السَّد السبب الرئيسي للتأميم، فقد " أراد تأكيد استقلال مصر، وأن تكون الدولة قادرة على اتخاذ قراراتها لما فيه مصلحتها ، وأنَّ التَّراجع له تداعياته إذ يُفسَّر على أنَّه ضعف، وأنَّ مَنْ يقبل الصّفعة فسوف تتوالى الصفعات..." [28] وأرى أنَّ هذه الأسباب تضافرت سويًا؛ لتُخرج فكرة التأميم في اليوم الموافق لخروج الملك فاروق من مصر ومغادرة البلاد– مع اختلاف السنوات– ففي ذلك اليوم تخلصت مصر من الدَّاعم الأساسي لوجود الإنجليز، ثُمَّ من الإنجليز، وهذا التدبير يتناسب مع شخصية الرئيس (جمال عبد النَّاصر) فكانت له نظرة مستقبلية كاشفة عجز عن إدراكها مَنْ اتهموه بالتعجل في اتخاذ القرار من أجل التَّلميع السِّياسي، فالثورة العارمة الأوربية[29] التي حدثت عقب خطاب التأميم وما ترتب عليه من العدوان الثلاثي خير دليل على تمسك إنجلترا وفرنسا بحقهم في القناة للأبد وعلى توجس إسرائيل من عبد النَّاصر، فكان من الصَّعب أن تترك مُنشآتها ومشروعاتها بسهولة للجانب المصري.

استطاع الشَّاعر(محمود غُنيم) قراءة طبيعة الإنجليز، فمن الصَّعب تنازلهم عن خيرات القناة بانتهاء المدة بعد تسعة عشر عامًا، يقول في قصيدته (تكلمي ياكتائب)1954م: (من الكامل)

سَبعُون عامًا، كان من أهوالها ... أن يَهْرَمَ الهَرَمُ الذَّي لم يَهْرَم

قَالوا: القناة فَقُلتُ: إن تَكُ حُجَّةً ... لِخُلُودِهم في مِصْرَ، فَلْتَتَهَدَّم [30]

الشَّاعر كأي إنسان مصري ذاق ألم الاحتلال، ومرارة الظُّلم، فلم ينعم بخيرات بلده، فبالرغم من أنَّ قناة السويس حُفِرَت بسواعد أهلها، فإنَّ الشَّاعر على استعداد لهدمها، والقضاء عليها حتى لا تكون ذريعة لبقاء الاستعمار.

فالاعتراف بفضل (جمال عبد الناصر) صاحب قرار التأميم عالجه غير شاعر، يقول(صالح جودت) مُتحدثًا للقائد جمال عبد النَّاصر:(من السَّريع)

يابنَ "بني مُرّ"غَسلْتَ الجِبَاه من وَصمةِ المَاضِي بِمَاءِ القناه

الأرضُ باسمِ اللهِ عادتْ لنا فكانَ حَقًّا أن تعودَ المياه[31]

استطاع الشَّاعر أن يُعبر عن فضل هذا القرار فوجودهم في القناة كان بمثابة الوصمة في جبين الشعب كله، فكيف يُسيَّر أعمال القناة – التي حُفِرت بيد المصريين– الأجانب؟ هل هذا قُصور في الإمكانات المصرية أم يُعدُّ تكريمًا لهؤلاء الأجانب والاعتراف لهم بالجدارة والأحقية؟ ولكن بفضل الله عادت القناة لأصحابها، فقد تنبه الشَّاعر للعلاقة الطردية بين الأرض والقناة، فلا يمكن أن تعود الأرض مُحَرَّرةً من الأعداء وتبقى القناة أسيرة.

ويُسهم شاعرٌ آخر في رسم الموقف، ولكنه توافق مع رأي الباحثين السِّياسيين الذين لم يجعلوا فكرة التأميم أساسها بناء السَّد، بل لتأكيد السيطرة المصرية، وتحقيق الاستقلال التَّام، فيقول الشاعر(محمود غُنيم): (من الرَّمل)

حينما قال جمالٌ:" أَمِّمَتْ" رَقَصَ الوَادِي، وغنَّتْ ضَفْتَاهْ!

مَا بَنَى التَّأمِيمُ سَدًّا عَالِيًا بل بَنَى للنيل جَاهًا أيَّ جاهْ [32]

كما لم يغفل الشعراء عن تهديدات الغرب لمصر ولرئيسها فلم يقصروا شعرهم على تمجيد الفكرة وصاحبها، بل بادروا على عادة الشعراء بالدفاع بالكلمة، فقد كان كل مصري على استعداد لحمل السلاح والدِّفاع عن استقلال مصر، فتهديدات الغرب خير دليل على سوء نواياهم، وهذا ما أكده الشاعر عندما حاول الغرب تهديد مصر بالهجوم عليها وإشعال حرب لاسترداد السيطرة على القناة: (من السَّريع)

قُلْ لِحُواةِ الغَربِ: لاتَهْزِلُوا قَدْ كَشَفَ العَالمُ فنَّ الحُواة

قَنَاتُنَا تَجْرِي علي أرْضِنَا وَبين بَحْرَينَا، ونَحْنُ البُنَاة[33]

فقد عدَّ الشَّاعر تهديدهم من باب الهُراء والكلام الذي لا طائل من ورائه؛ لأن الحق المصري معروف، فجغرافيًا هي حق للمصريين فهي قطعة من أرض مصر، وواقعيًا هي من حق بُناتها، الذين لم ينالوا من وراء هذا البناء مالًا، ولا حياة رغيدة، بل نالوا الإهانة،

والموت تحت أشعة الشَّمس الحارقة، فمن وجهة نظر الشَّاعر هذه حُجج كافية ووافية لإثبات الحق.

استطاع الشَّاعر(محمود غُنيم) أن يُصور قناة السِّويس تصويرًا إنسانيًا حيًّا، فكأنها ابن سُرِقَ من أحضان أهله، لينشأ وحيدًا ومُغتربًا،إلى أنْ أعلن الرئيس تأميمها في يوليه 1956، يقول محمود غُنيم في قصيدته (تأميم القناة): (من الرَّمل)

رَبَضَ الجَيشُ على خَطِّ القَنَاة وعلى شُطآنِها أَلْقَى عَصَاه

أيُّها الجَيشُ أعِدْهَا للحِمَى فَلِذَةً قَدْ نَزَعُوهَا من حَشَاه

هي قَلَّبُ النِّيل، إلا أنَّهُم وَضَعُوهَا بَيْنَ أَضْلَاعِ سِواه

سَاقَتْ المَوتَ إلى مِصْرَ، وإنْ بَعثَتْ في الشَّرقِ والغربِ الحياه[34]

فكانت قناة السِّويس بمثابة قلب مصر، والنِّيل بمثابة القفص الصدري الذي يحمل هذه المُضغة، قوية الأثر ضعيفة التَّكوين، فخير قناة السُّويس قدْ وُزِعَ على الغُرباء وحُرِمَ منه أصحاب الحقّ، استطاع الشَّاعر رسم حالة القطيعة الواقعة بين أهل مصر وقناتهم بقوله: **(وَضَعُوهَا بَيْنَ أَضْلَاعِ سِواه)**، الحالة النَّفسية للشاعر التي قاست مرارة الاحتلال، جعلته يراها السبب الأبرز لتمسك الاحتلال بمصر؛ لخيراتها فساقت الموت لمصر وبعثت الغُرباء

وأخيرًا أود أن أخْتتم الحديث عن أبرز إنجازات ثورة يوليو بما جرى به قلم، وإحساس الشَّاعر (هاشم الرِّفاعي) في قصيدته(صوت التَّحرير) 1953م، يقول: (من الكامل)

إنّي أرى عَهْدًا تكَاثَرَ خَيْرَهُ قَدْ فَاضَ يُمْنًا بالبِلادِ وأغْدقَا

عَهْدٌ تَفَرَّد بالمَحَاسنِ وَحْدَهُ فيه النِّظَامِ بالاتّحادِ قَدْ التَقَى

وَيُزَينُهُ العَمَلُ الذِّي تَسْمُو بِه فَيَزِيدُنَا بَيْنَ المَمَالكِ رَوْنَقَا[35]

يتجلى جمال هذه الأبيات من عنوان القصيدة؛ فالثورة كانت صيحة المطالبة بالتحرر، والشَّاعر يُركز على الجانب المجتمعي، وكيف أحدثت الثورة تغيّرًا في الحياة استشعرها الجميع؛ فقد أحدثت طفرةً نفسيةً، ومُجْتمعيةً، فجعلته عهدًا مُتفردًا بكل الخيرات والمحاسن، وكأننا نحيا داخل المدينة الفاضلة، وقد أجاد الشاعر في توظيف شعار الثورة داخل النَّسق الشعري.

الخاتمة:

1- ارتبطت الأعمال الإيجابية للثورة برجالها الأحرار، فكانت دليلًا واضحًا على تفانيهم وبحثهم الدَّائم عن الهُويّة المصرية المفقودة، وكأنها محاولة للبعث من جديد.

2- لُقِّبت ثورة يوليو بالثورة البيضاء من قبل الشُّعراء، وهذا ما ابتغاه الضُّباط الأحرار من قبل الإعلان عنها، فقد غيرت واجهة المجتمع المصري على الصعيد السِّياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والنفسي؛ فإحساس المواطن المصري بالعزة، والكرامة بعدما عاش سنوات طوال في مهانة الاحتلال بقيادة رموز الإقطاع الذين تفننوا في إهانته؛ لذا جاءت الثورة بمثابة شمس الحُرية والاستقلال التي محت كل آثار المهانة والذُّل في الفترة السابقة.

3- قضية الجلاء من أبرز إنجازات الثورة؛ لذا انشغل الشُّعراء بكل تفصيله من تفاصيل هذا اليوم، انشغلوا بصورة الجنود الإنجليز حال رحيلهم عن أرض القناة، اهتموا بالعلم المصري الخفَّاق وتعاملوا معه كإنسان مصري مُشتاق للعودة إلى مكانه.

الهوامش:

(1) يمكن مراجعة : ثورة سنة 1919 تاريخ مصر القومي من سنة1914إلى سنة1921: عبد الرحمن الرافعي بك، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط1، 1946، ص4-5.
(2) الملحمة الوطنية وقضية الشعر الحديث: حلمي مرزوق، جامعة الإسكندرية ، د.ن، د.ط، 1967، ص5.
(3) كيف نجح عبد النَّاصر: ر.ك. كارانجيا ، تعريب : خيري حماد، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1964م، ص 42.
(4) يقول أبوفراس الحمداني: الشَّعرُ ديوانُ العَرَبْ أَبَدًا، وعُنْوانُ النَّسَبْ (من مجزوء الكامل) ديوان أبي فراس الحمداني: شرح: خليل الدَّويهي، دار الكتاب العربي، ط2، 1994م، ص28.
(5) الثورة المصرية في الشعر العربي المعاصر: نسرين محمد النبوي مصباح، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د. أحمد فهمي أ.د. أحمد عبد الحي يوسف، جامعة دمياط، 2015م، ص97.
(6) الأعمال الشعرية الكاملة: محمود حسن إسماعيل، المجلد الثاني، ديوان (نار وأصفاد)، ص80.
(7)شعر الثورة في الميزان دراسة تحليلية ، نقدية، موازنة: أحمد أحمد بدوي، الجزء الثاني، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، ط2، 1959، ص10. ورد في الكتاب السَّابق أنَّها نُشِرت في مجلة الرسالة يناير 1954م.
(8) تجليات الثَّورة في الشعر العربي المُعاصر: صحيفة الرأي، عدد(27يناير)2012م.
(9)شعر الثورة في الميزان دراسة تحليلية ، نقدية، موازنة: أحمد أحمد بدوي، ج2، ص187.
(10)السَّابق، ص84.
(11) الأعمال الشعرية الكاملة محمود حسن إسماعيل: المجلد الثاني ،ص234-235.
(12) الأعمال الكاملة فؤاد حداد: المجلد الأول،ديوان (من نور الخيال وصنع الأجيال) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 2012م، ص124.
(13) والآن أتكلم: خالد محيي الدين، مركز الأهرام للترجمة والنَّشر، القاهرة، ط1، 1992م، ص181.
(14) فلسفة الثورة: جمال عبد النَّاصر، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص51.
(15)كيف نجح عبد النَّاصر: ر.ك. كارانجيا ، تعريب : خيري حماد، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1964م، ص46.

(16) الأنصاري شاعر الحرية والثورة: عبد الله سرور، مطبعة الفاروق، د.ط، 2005، ص91.
(17) من النقد والأدب أحمد أحمد بدوي مكتبة نهضة مصر، الفجالة. د.ط، د.ت، ص78-79.
(18)تاريخ مصر الحديث من النَّهضة في القرن التَّاسع عشر إلى مبارك: ماسيمو كامبانيني، ترجمة: عماد البغدادي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2006، ص117.
(19))الجلاء: صلاح سالم، د.ط، د.ت، ص53. *ونستون تشرشل: رئيس الوزراء البريطاني من (1951-1955)
**(ووتر هاوس) زعيم المُحافظين المُتمردين على تشرشل كما ورد في كتاب الجلاء ص53.
(20)الجلاء: صلاح سالم، د.ط، د.ت :ص55.
(21) التَّاريخ الشعبي لمصر في فترة الحكم النَّاصري رؤية جديدة من وجهة نظر المهمشين: خالد أبو الليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 2015م، ص273.
(22) شعر الثورة في الميزان دراسة تحليلية: الجزء الثاني، ص46.
(23)الأعمال الشعرية الكاملة: محمود حسن إسماعيل، ديوان (أغاني الجرية)، المجلد الثاني،ص231-232.
(24) بمراجعة بعض الأفلام التَّسجيلية لاحظتُ البهجة والسعادة تعلو وجوه جنود الاحتلال البريطاني، وهم يُغادرون أرض مصر للأبد.
(25) الأعمال الكاملة محمود غُنيم: ديوان (في ظلال الثورة)، المجلد الأول، دار الغد العربي، 1993 ص322.
(26) الأعمال الكاملة فؤاد حداد: من ديوان(من نور الخيال وصنع الأجيال)، ص129.
(27) بتصرف من.. ندوة الحركة الوطنية وفكرة تأميم قناة السويس (مجموعة أبحاث): فكرة تأميم قناة السويس قبل ثورة يوليو 1952، عبد الله محمد عزباوي،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2008، ص24-34.
(28) ندوة الحركة الوطنية وفكرة تأميم قناة السويس : ثورة يوليو 1952 الطريق إلى التأميم (1952-1956)، لطيفة محمد سالم، ص77 .
(29) يمكن مراجعة كتاب (ناصر): تأليف: أناتولي أجاريشيف، ترجمة: سامي عمارة، تقديم: هدى عبد الناصر، المركز القومي للترجمة، ط1، 2018، ص152-160.
(30) الأعمال الكاملة: محمود غُنيم: ديوان (في ظلال الثَّورة)، ص432.
(31) من النقد والأدب: أحمد أحمد بدوي، ص88.
(32) الأعمال الشعرية الكاملة: محمود غنيم، في ظلال الثورة، ص310.
(33)من النقد والأدب أحمد أحمد بدوي، ص89 .
(34)الأعمال الشعرية الكاملة: محمود غنيم، ديوان (في ظلال الثورة) ، ص309.
(35) الأعمال الكاملة هاشم الرِّفاعي: تحقيق: عبد الرحيم جامع الرِّفاعي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 1996م، ص227م.